مجلة الجامعة الإسلاميَّة
للغة العربيَّة وآدابها

مجلة عِلميَّة دَوْريَّة مُحكمة

العدد : 15
يناير - مارس 2025م

الجزء 2

١٣٨١
١٩٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة عبر المنصة الإلكترونية

البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء الباحثين
ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. تركي بن صالح المعبدي
(رئيس هيئة التحرير)
أستاذ النحو والصرف المشارك بالجامعة الإسلامية

د. خليوي بن سامر العياضي
(مدير التحرير)
أستاذ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد الرزاق بن فراج الصاعدي
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي
أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية

أ.د. الزبير بن محمد أيوب
أستاذ أصول اللغة والمعاجم بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

د. محمد بن ظافر الحازمي
أستاذ اللسانيات المشارك بالجامعة الإسلامية

د. عبد المجيد بن عثمان اليتيمي
أستاذ أصول اللغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. علي بن محمد الحمود
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد الرحمن بن مصطفى السليمان
أستاذ اللغات والآداب السامية والترجمة بجامعة لوفان – بلجيكا

أ.د. علاء محمد رأفت السيد
أستاذ النحو والصرف والعروض بجامعة القاهرة – مصر

أ.د. سعيد العوادي
أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاضي عياض – المغرب

د. الزبير آل الشيخ مبارك
(رئيس قسم النشر)

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب التركستاني
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي
أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الخماش
أستاذ اللغويات بجامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد
أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان
أستاذ الأدب والنقد . تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي
أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة الإمارات العربية المتحدة

أ.د. عمر الصديق عبدالله
أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية بالخرطوم

د. سليمان بن محمد العيدي
وكيل وزارة الإعلام سابقا

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديدا؛ لم يسبق نشره.
- أن يتسم بالأصالة والجدة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستلا من بحوث سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلمي الأصيل، ومنهجيته.
- أن يشتمل البحث على:

- عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
- مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربية والإنجليزية.
- كلمات مفتاحية لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربية والإنجليزية.
- مقدمة.
- صلب البحث.
- خاتمة تتضمن النتائج والتوصيات.
- ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
- رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقيا) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نشر بحثه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيا أو إلكترونيا، ويحق لها إدراجه في قواعد البيانات المحلية والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة – في أي وعاء من أوعية النشر – إلا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	**منهج التحليل الإعرابي عند الأصبهاني في كتابه إعراب القرآن** د. عبد اللطيف جعفر عبد اللطيف الريح	٩
٢)	**الحمل على النظير بين بابي الجزم والجر وأثره في الحكم النحوي -دراسة أصولية نحوية** د. أريج بنت عثمان بن إبراهيم المرشد	٦١
٣)	**من بلاغة الإنشاء والخبر في الجواب النبوي على مسألة الأعراب** د. أسماء بنت أحمد بن مسفر الوادعي	١١٣
٤)	**خطاب التجديد في الفكر البلاغي عند الشيخ محمد أبي موسى -ملامحه وتجلياته** د. يوسف طفيف مبارك الدعدي	١٥٣
٥)	**المثل في شعر هدبة بن الخشرم دراسة دلالية تركيبية تناصية** د. نوال عبدالله إبراهيم يوسف الزهراني	٢٠٣
٦)	**مفهوم الشعر ووظيفته عند ابن المعتز من خلال كتابه طبقات الشعراء** آمال بنت يوسف المغامسي	٢٤٥

م	البحث	الصفحة
٧)	**البناء التقابلي في تشبيه الوحي بالمطر في الخطاب القرآني** د. لطيفة بنت سعود العصيمي	٢٩٩
٨)	**حيلة المرأة في الحكاية الشعبية السعودية (كتاب أساطير شعبية من قلب جزيرة العرب أنموذجا) مقاربة في النقد الثقافي** د منال بنت سالم القثامي	٣٥١
٩)	**المقصدية في ديوان أكاد أراني) لشقراء المدخلي دراسة تداولية** د. عائشة صالح الشمري	٣٩٧
١٠)	**دلالات المكان في شعر ياسر الأطرش -دراسة نقدية** د. حصة فهد السبيعي	٤٣٩
١١)	**آليات الخطاب النقدي في كتاب اتجاهات الشعر العربي المعاصر الإحسان عباس- دراسة في نقد النقد** د. عبدالعزيز بن عياد المطيري	٤٨٣
١٢)	**التحليل الأنثروبولوجي عند الناقد ياروسلاف ستيتكيفيتش** د. ماجد بن أحمد الزهراني	٥٢٥

مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها– العدد: ١٥ | الجزء: ٢

دلالات المكان في شعر ياسر الأطرش
دراسة نقدية

Connotations of Place
in the Poetry of Yasirr Al-Atrash
a Critical Study

د. حصة فهد السبيعي

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية جامعة الطائف

البريد الإلكتروني: h.hasaa@tu.edu.sa

DOI:10.36046/2356-000-015-022

ملخص:

يدرس بحث (دلالات المكان في شعر ياسر الأطرش) معاني المكان الظاهرة في شعر الشاعر، لأن المكان مهم في بناء النص الشعري أولا، وفي تكوين المبدع النفسي، وقد اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق أهداف البحث، وجاءت خطة البحث في أربعة مباحث هي: المكان الوطن، والمكان المنفى، والمكان الواسع والضيق، والمكان الخيالي، وتعود أهمية الموضوع لبروز المكان في كثير من قصائد الشاعر وتنوع الأمكنة واندماج المكان بمشاعر الغربة، فكان المكان رمزا للحزن والبكاء والضياع. ويعد المكان في شعر الشاعر ركيزة مهمة، وركنا لا يمكن الاستغناء عنه في بناء الصورة الشعرية، والمعنى العام لنتاجه الشعرية. وبهذا يكون الشاعر "ياسر الأطرش" قد عبر عن معاناة شعب كامل، وأظهر وفاءه وعشقه لوطنه، ومن سكن واستقر فيه، وقد خلد هذه المأساة في نتاجه الشعري.

الكلمات المفتاحية: شعر – المكان – دلالات – ياسر الأطرش.

Abstract

The research (Connotation of Place in the Poetry of Yasirr al-Atrash) studies the apparent meanings of place in the poet's work, as place plays a crucial role in both the construction of the poetic text and the poet's psychological identity. Adopting a descriptive-analytical approach to achieve its objectives, the research is divided into four main sections: homeland as a place, place of exile, expansive and Constricted Spaces, and Imaginary Place.

The importance of this topic lies in the prominent presence of place in many of the poet's works, the diversity of settings, and the fusion of place with feelings of alienation. In his poetry, place becomes a symbol of sorrow, weeping, and loss. It stands as a crucial pillar and an indispensable element in shaping poetic imagery and the overall meaning of his literary output. Thus, the poet Yasirr al-Atrash expressed the suffering of an entire people, demonstrated his loyalty and deep love for his homeland, and for those who lived and settled in it. Through his poetry he has immortalized this tragedy in his poetic work.

Keyword: Place - Poetry - Connotations - Yasirr al-Atrash.

مقدمة:

يكمن المكان في أعماق النفس البشرية ويرتبط بأحداث حياة الإنسان ووعيه منذ ولادته، ويظل الإنسان طول عمره يشكل وجدانه في محيط مكان يسجله في ذاكرته، فالمكان يشكل نفسية الشاعر، ويفرض تأثيره على نتاجه بعدد من الدلالات والمعاني والرموز، ويختزل الأحداث المؤلمة والسعيدة، ويسجل في نفس الشاعر تاريخ استقراره واغترابه، ويقوم الشعر بمهمة مواكبة أحداث المكان وشرح ملابساته، وترجمة صورته في ذاكرة الشاعر.

لهذا كله سيهتم هذا البحث بالمكان في شعر الشاعر السوري المعاصر "ياسر الأطرش"؛ لبروز هذه الظاهرة في شعره نتيجة ما تعرضت له بلاده من حروب، وما تعرض له هو من اغتراب، فكان نتاجه الشعري–الحديث منه خاصة–، يتمركز حول الوطن، وتتصادم مشاعره في وصف الأمكنة، فرأيت دراسته وإبراز طريقته في وصف الأمكنة.

وأسعى من هذه الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف هي:

- البحث في جماليات الأماكن ودلالاتها كما وردت في نتاج الشاعر.
- اظهار الارتباط النفسي بين الأمكنة وذات الشاعر.
- معرفة خلفية الشاعر وأحداث حياته من خلال التعبير المكاني.
- تصور واقع الشاعر، وما حدث لوطنه من خلال تتبع المعاني الواردة في شعره.
- معرفة الدلالات الخيالية المرتبطة بالمكان.

وقد ظهرت عدة دراسات سابقة تناولت النتاج الفني للشاعر هي:

- سيميائية الفضاء في شعر ياسر الأطرش مابين عامي (٢٠١٣م–٢٠١٨م) أنموذجا. نورا عيظه الثقفي رسالة ماجستير، جامعة الطائف، ٢٠١٩م.
- أزمة الهوية والاغتراب في شعر ياسر الأطرش، دراسة سيميائية تحليلية، زياد الأحمد، نشر كيملك يابنلاري، تركيا ١٤٤٠هـ–٢٠١٩م.

– النزعة الإنسانية في شعر ياسر الأطرش، سارة هشام القطاونة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٢٠م.

ولم تتعرض أي من الدراسات إلى المكان بالوصف والتحليل والبحث في دلالاته وما تحيل إليه من معان نفسية ودلالات متنوعة، في حين كان اعتماد البحثين الأول والثاني على الدراسة السيميائية التي تعنى بتتبع بعض الألفاظ والبحث في معانيها، أما البحث الثالث فموضوعه في النزعة الإنسانية وهو مختلف عما تحدثت وتوصلت إليه في دراستي.

وقد اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق أهداف البحث، ومن ثم جاءت خطته في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: المكان–الوطن

المبحث الثاني: المكان –المنفى

المبحث الثالث: المكان الهندسي

المبحث الرابع: المكان المجازي.

تمهيد

أولا: معنى المكان:

يشكل المكان جزءا من التكوين الروحي للإنسان، فتبقى ذكريات المكان ومزاياه راسخة في ذاكرته مرتبطة بروحه، وعند الشعراء يأتي ذكر المكان في القصيدة ليوحي إلى دلالات متعددة ومختلفة فلا يكون المكان العادي الذي يذكر لذاته؛ بل يكون رمزا إلى معان متعددة حسب توجهات الشاعر وأفكاره. يقول شارل كريفل في أهمية المكان "هو الذي يؤسس الحكي لأن الحدث في حاجة إلى فاعل وإلى زمن، والمكان هو الذي يضفي على التخيل مظهر الحقيقة"(١)، ولهذا كان الطلل من أول الموضوعات التي شكلت ركنا أساسيا في القصيدة العربية، وهو من التقاليد الخالدة للقصيدة القديمة، فكان المكان البالي الدارس _الذي يحمل الذكريات وما يرتبط بها من مشاعر حنين وشوق_ المدخل الذي يلج به الشاعر إلى قصيدته. ولا يمكن أن ينفصل العمل الفني عن المكان إذ "إن العمل الأدبي حين يفتقد المكانية فهو يفقد خصوصيته، وبالتالي أصالته"(٢)، ولذلك يكون المكان عنصرا مهما من عناصر بناء العمل الشعري.

المكان لغويا: عند ابن منظور "الموضع والجمع أمكنة"(٣)، ويستطرد ابن منظور ويتحدث عن معناه عند ابن سيده بقوله: المكان الموضع، والجمع أمكنة كقذال

(١) جيرار جينيت وآخرون، "الفضاء الروائي"، ترجمة: عبدالرحيم حزل، (المغرب: إفريقيا الشرق، ٢٠٠٢م)، ٦٢.

(٢) غاستون بلاشلار، "جماليات المكان"، ترجمة: غالب هلسا، (ط٢، لبنان: المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٤م) ٥-٦.

(٣) (لسان العرب)، (مادة/ مكن)

وأقذلة، وأماكن جمع الجمع، فيكون المكان الموضع عند أغلب اللغويين. وارتبط المكان بعدة معان أخرى كالمكانة وفيه يقول أبو منصور: المكان والمكانة واحد، ومن معانيه كذلك الكينونة أو الخلق وقد وردت في قوله تعالى: "إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون"(١)، فيرتبط بمعنى الوجود.

والمكان اصطلاحا: فقد ترددت معانيه بداية عند فلاسفة اليونان، ثم العرب، وتنتهي فلسفتهم في المكان إلى أنه "السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي، وعند المتكلمين هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وينفذ فيه أبعاده"(٢)؛ فمعانيه حول الشيء الذي يحوي جسم ما.

أما في الدراسات الحديثة فقد تحدث عنه يوري لوتمان، ولفت إلى أهمية تفاعل الأشياء فيما بينها لتظهر العلاقات المكانية يقول عن المكان: "مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر أو الحالات أو الوظائف أو الأشكال المتغيرة .. تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة"(٣).

ولكنه في الشعر يبقى معنى المكان جامدا حتى يمتزج بالخيال، ويلتصق بالروح؛ ليشكل معنى فنيا يمكنه التأثير في المتلقي، فيظهر هذا المعنى عندما يسكب الشاعر أحاسيسه على المكان فيناجيه ويلومه، يحبه ويكرهه، يشتاقه ويغترب فيه، يهدمه ويعود لبنائه بمظهر جديد، فيأتي دور التأويل الذي يقوم به المتلقي بإحساسه وذوقه؛ ليفسر دلالة المكان، وعلاقته بالشاعر.

(١) (يس: ٨٢)

(٢) علي الجرجاني، "التعريفات"، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م)، ٢٢٧.

(٣) ينظر: جماعة من الباحثين، "جماليات المكان"، (ط٢، الدار البيضاء: دار قرطبة، ١٩٨٨م)، ٣.

ثانيا: سيرة الشاعر:

ياسر الأطرش شاعر وكاتب صحفي سوري، ولد في مدينة سراقب في محافظة إدلب السورية في عام ١٩٧٣م، وهو عضو اتحاد الكتاب العرب منذ عام ١٩٩٩م، وحتى العام ٢٠١٢م، وعضو رابطة الكتاب السوريين، معد ومقدم برامج ثقافية تلفزيونية، صدرت له مجموعة كتب في الشعر، وحاز على أكثر من ثلاثين جائزة أدبية عربية ومحلية، وشارك في عام ٢٠٠٧م ببرنامج أمير الشعراء، وتأهل إلى مرحلة النهائيات.

له العديد من الأعمال الشعرية **منها**: أنا إنسان ٢٠١٣م، قاموس الضوء ٢٠١٥م، وإني قليل فكوني كثيري ٢٠١٦م، في هجاء البلاد ٢٠١٨م، أكاذيب نحبها ٢٠٢٣م، ونعيش ما دمنا نحب مختارات شعرية ٢٠٢١م ...وغيرها.

حصل على عدة جوائز **منها**: جائزة د. سعاد الصباح للإبداع الأدبي ١٩٩٥م الكويت، وجائزة الأمم المتحدة – اليونيسيف – لأدب الأطفال ٢٠٠٢م دمشق، وجائزة عكاظ للشعر أعوام ١٩٩٥م – ١٩٩٩م – ٢٠٠١م، وجائزة أبي العلاء المعري للشعر أعوام ٢٠٠١م – ٢٠٠٢م[١].

اكتسب الشاعر شهرته بعد تعرض بلده سوريا لحرب دامية قتل وتشرد بسببها الملايين من السوريين، مما كان له أثر كبير في نفوس المسلمين والعرب، فتصدر الشاعر المشهد الأدبي والإعلامي للدفاع عن المضطهدين والأبرياء، فسخر أدبه لخدمة هذه القضية.

وقد ظهر المكان في شعره ظهورا إبداعيا مميزا، فتنوعت الدلالات والرموز والأخيلة، التي تنم عن ثراء تجربته الوجدانية والذاتية، فرسم العديد من اللوحات المعبرة التي ضمنها واقعه الاجتماعي والسياسي والنفسي، فسرد قصة وطنه مازجا الواقع

(١) بناء على التواصل مع الشاعر وإرسال سيرته.

بالخيال متصورا للواقع والمستقبل.

دلالات المكان:

تظهر الكثافة الدلالية عند النظر في التشكيلات المكانية الواردة في نتاج الشاعر، فتنوعت أنماط المكان وتداخلت فيما بينها، فهناك الأمكنة القريبة لنفس وروح الشاعر كـ البيت– الوطن– الأماكن الطبيعية، وهناك المعادية التي ينفر منها كالسجن والشارع والرصيف والمنفى، وهناك الأماكن التي نظر إليها الشاعر برؤية ذاتية تنبع من أعماق الروح فاتسعت وضاقت تبعا لواقعه النفسي، وللبحث في دلالات المكان رأيت تصنيفه في أربعة مباحث:

أولا: المكان – الوطن: يوظف الشاعر المكان ليعبر عن عدة مواقف تتنوع وتتشكل حسب وضعه النفسي، وطريقة رؤيته للمكان، فحينا ينطلق المعنى من رؤية سياسية، وحينا من واقع اجتماعي معين، وحينا من مشاعر الشوق والحنين، وحينا يكون المكان رمزا للضياع. فـ"الشعور بالمكان يزداد تجذرا وعمقا إذا ما تعرض المكان للخطر أو الضياع أو الانصهار"(١).

وقد يصبح المكان إشكالية إنسانية إذا ما اغتصب، أو إذا حرمت منه الجماعة، ولذا فإنه يكتسب قيمة خاصة، ودلالة مأساوية بالنسبة للمستعمرين واللاجئين(٢)، ولهذا كان للمكان مزية خاصة في نتاج الشاعر إذ يفقد وطنه المكان الكبير الحاوي له، فيفقد معه أماكن عديدة بيته، ومسجده، ومدرسته، ومقهاه، وكل الزوايا الجميلة التي جمعته بأحبته وأهله، كما تظهر أماكن جديدة لم يكن يعرفها

(١) حاتم الصكر واعتدال عثمان، "الشعر ومتغيرات المرحلة"، (ط١، بغداد: وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٨٩م)، ٥١.

(٢) ينظر: جماعة من الباحثين، "جماليات المكان"، ٣.

ترددت في شعره مثل المنفى، والرصيف، والشارع، والقبر، وغيرها من الأماكن التي تحمل دلالات الضياع، والشتات.

فاستطاع بهذا ياسر الأطرش أن يحول معاناة وطنه مع الحرب إلى جمالية فنية رائدة، تمكن من خلالها أن يصنع تواصلا نفسيا مع الآخر، فذكر كافة التفاصيل المتعلقة بواقع وطنه حتى شعر المتلقي وكأنه يخوض التجربة ذاتها.

كان للمكان الوطن بروزا في شعره؛ فالوطن رمز لعدد من الدلالات، منها دلالته على القتل والدمار، يقول:

أبوس يديك يا وطن اليتامى أعرني صدر أمي كي أناما

تعبت من الغياب، وضاع وجهي وكف أبي–السماء، الصحو غاما[1]

اقترنت لفظة الوطن بـ(اليتامى) لتحمل دلالة كثرة الموت والفاقدين، ويأتي الفعل (أبوس يديك) دالا على الرجاء والخضوع وطلب تقديم أمر ما، وما هذا الأمر إلا (صدر الأم) الذي يرتبط بدلالة الأمن فهو محتاج للسكينة والهدوء ودفء المكان، ويحتاج الطمأنينة التي يجدها الطفل وهو على صدر أمه؛ والهدف التمكن من النوم الذي افتقده منذ افتقاده لوطنه، فتبرز هنا دلالة فقد الوطن والحنين إليه. بعد أن لبس الوطن صورة الغريب الذي يتوجه إليه الشاعر بالرجاء ويطلب منه الأمن (إعارة)، دلالة على ضعف أمله في تحقيق الأمان الذي وإن تحقق سيكون مؤقتا، فاستخدامه لألفاظ الخضوع والاعارة تظهر انكساره وحاجته الملحة إلى العودة إلى أرض الوطن. ثم يقول في البيت الثاني (ضاع وجهي) ليعبر عن التيه الذي حل به، وعن شعوره النفسي الذي عبر عنه بكف أبيه الصافية وقد غشاها الغيم وعكر صفوها. فذكر الأم والأب للدلالة على الوطن يعبران عن الارتباط الأصيل به واستحالة الانفصال الروحي

(١) ياسر الأطرش، "ديوان في هجاء البلاد"، (ط١، تركيا: دتر ميسلون، ٢٠١٨م)، ٥١.

عنه. ويكثف من دلالات التأزم النفسي الذي يعانيه كل من افتقد وطنه. يقول:

وما هذي البلاد سوى بلادي وسحقا للذين بها استبدوا
فإن سجنوا فمي سيمر صوتي وصوت الحر لا يحويه قيد
ملكنا الأمس حتى صار بيتا ظنناه قويا.. لا يهد
فلما مر يوم صار سجنا وحالت بيننا والغد يد
فلست برافع كفي أدعو وليس دعاؤكم يجدي وحمد
فلو أنا حبينا الخلد جمعا سيطردنا من الفردوس فرد(١)

يعبر البيت عن دلالة التحول من الاستقرار إلى التشرد ومن العدل إلى الظلم مستخدما المكان، لتفسير وضع وطنه المأساوي فالشاعر يضع المكان العتبة التي يلج من خلالها إلى شتم العدو المستبد، وإظهار قسوته وسيطرته ومحاولاته اقصاء الآراء الأمر الذي كان أشد ألما من مصادرة الوطن، ثم يستحضر الشاعر الماضي ليتباهى بما كان عليه الوطن من ثبات وقوة، وقد اختزل الشاعر الوطن في كلمة (البيت) ليضفي عليها دلالات الأمن والاستقرار والشعور الطمأنينة؛ لأن البيت له أساس ثابت قامت عليه حيطانه وطوابقه، فلم يتوقع أحد إمكانية انهياره. فيظهر التحول من (البيت) إلى (السجن) من الأمان إلى الخوف والضيق من المكان الذي يختاره الإنسان إلى سجن يجبر عليه. **وفي شكوى الاستبداد والبكاء على الوطن يقول:**

كأن بلادنا دين علينا وأصحاب السمو هم الجباة

(١) ياسر الأطرش، "ديوان ونعيش ما دمنا نحب"، (ط١، الشارقة: إصدارات روايات، ٢٠٢٢م)، ٧٤-٧٥.

ملوك التيه.. قد تعبت بلادي وقد ضاقت بغصتنا الفلاة
جعلتم كل أنفسنا سجونا وما نفس على جور (تبات)
غدا إن كفة مالت علينا أيرجح كفة الوطن العراة؟(١)

توحي الأبيات بدلالة استلاب حرية الإنسان وقهره وعجزه وصغره أمام المعضلات، يجسد الشاعر الوطن إنسانا أرهق وتعب من الظلم وما هذا الوطن إلا نفس الشاعر التي تمثل الضمير الجمعي لمن يشترك معه في المعاناة ذاتها، تلك النفوس الضائقة وإن اتسع بها المكان، فالفلاة لا معنى لاتساعها لأن غصتهم أكثر اتساعا منها، فجاءت المفارقة الدلالية بين لفظي (فلاة - سجن) ليبرز دلالتي الضيق والاتساع التي تتعلق بمشاعرهم. **يقول عن سوريا:**

فامضوا إلى ركن عميق في الوطن
وتمسكوا بالسين
سوريا العظيمة سوف تبتكر العواصف
ثم تقتلع المحن
هلك الوثن
الصائبون عن الفرات غبارهم معهم ونحن عظامنا من قاسيون
نحن احترفنا الياسمين، دمشق عيـ ـن عواصم الدنيا، ونحن لها جفون
هي نفخة كبرى.. ويجمع كلهم صفا أمام الشام لا يتكلمون

(١) الأطرش، "ديوان ونعيش ما دمنا نحب"، ٨٠.

إلا الذي زرع الشـــآم مواسمـا حمـراء، تؤتي أكلهـا في كل حين

أحيـاء عند الله من قتلوا فـدى للشـام، والأحيـاء فيهـا ميتـون[١]

تحمل الأبيات دلالة الثورة التي لابد منها لاقتلاع المصائب، فصور (سوريا) خارقة تصنع العواصف لتدمر المحن، تلك الثورة هي الخاملة في نفوس شعبها المكلوم ولابد لهذه الأنفس من ثورة يخرجون بها من هدوئهم الذي اجبروا عليه، ثم يظهر الشاعر أن الوطن جزء من ذواتهم بعدد من العبارات تكتسيها نغمة الفخر، وعراقة الانتماء "عظامنا من قاسيون"، "احترفنا الياسمين"، "نحن لها جفون"، فهذه اللهجة الفدائية للوطن جعلته مقدسا حد وصفها بالقيامة، فالشاعر يستشرف المستقبل ويرسم الوقائع المحتملة لما سيكون بعد هذه الثورة التي سيقف كل من ظلمها صفا أمامها، فالشاعر يكسو الشام بدلالات العظمة والقدرة على النهوض بعد المحن. وفي أبيات أخرى يتصدر الموقف رسولا منافحا عنها يقول:

فطـوبى لسـوريـا أتتني كتـابهـا فـكنت نبيـا رائعا يهتـك الكفرا

وكنت إذا ما ازينت مـاء صبحها وإن أينعت زهرا وإن أجدبت قطرا

ولو مت دون الذود عن سر حبها لعدت طويلا كي أموت بها أخـرى

بي الأرض تحيا من عظامي ترتدي قميص بهـاء لا يبـاع ولا يشـرى

فمن ينتمي ينمو ومن خـان طينه سيبحث عن جذر ولن يجد الجذرا

عناقيـده تفنى على حبـل زيفهـا فلا عنبا يؤتى، ولا يعصر الخمرا[٢]

تظهر في الأبيات دلالة الأصالة المتجذرة، فيسعي الشاعر لإظهار وفاءه لوطنه،

(١) الأطرش، "ديوان ونعيش ما دمنا نحب"، ٨٥، ٨٦.

(٢) الأطرش، "ديوان ونعيش ما دمنا نحب"، ٩١، ٩٢.

والانتماء الروحي له، فمنح نبوءة الشعر، وأعطته سوريا هذا الشرف فحمل الأمانة شاعرا متلفا كل العقائد إلا عقيدة حب الوطن فكان ماء صبحها وزهرها وقطرها، فللصوت قيمته، وللشعر مكانته في النضال عن الوطن، فأراد الشاعر إبراز الارتباط بين الإبداع الشعري والوطن؛ يقول في أبيات أخرى:

لأجل بــلادي وانتصــارا لأمتي سأجعل من صوتي لأقدامكم جسرا
وإن وضعوا سدا بوجه امتدادنا فلن تعجـز الأنهار أن تبـدع المجرى
فليس بلادي من يمت عادل بها وليس بــلادي من أمــوت بها فقرا
ولكن بلادي من أموت بها حبا وتحمـلـني طفــلا وأحمـلهــا دهــرا
وتبدعني فصلا من الموج أخضرا كإيحاء عيسى إذ بلادي هي العذرا[1]

يستخدم الشاعر لفظة (بلادي) التي تؤكد انتسابه لوطنه وقربها من روحه، فجاءت معاني الوطن في العدل والغنى والصبر على ما أصابها؛ ولنهضة بلاده وانتصارها يأتي المعنى التداولي من قوله: "سأجعل صوتي لأقدامكم جسرا" ليوحي بدلالة تسخيره لإبداعه الشعري في إيصال أصوات أبناء أمته؛ ليعبروا الألم الذي يمرون به، وليتجاوزوا مصيبتهم في فقدان وطنهم، ولينطلق بهم للحياة. ثم يستخدم صورة أخرى متمثلة في النهر الجاري الذي يضع الأعداء فيه سدا يقف حاجزا أمامهم ولكن إرادتهم جعلت للنهر مجرى آخر يسيرون فيه، وهو كناية عما يجدون من عقبات في طريق حريتهم، وهم قادرون على خلق طرق أخرى. **ويقول في قصيدة (المعري دمشقيا):**

على أعتاب باب دمشق حشر فهذا اليوم.. هاد أو ضليــل

(١) الأطرش، "ديوان في هجاء البلاد"، ٩٢.

بما كسبت ستجزى كل نفس وإن حساب أنفسنا ثقيل
سنخجل من دمشق، فإن حبا لها سقناه، ينقصه الدليل
فليس الأمر أن نقضي كراما ولكن أن يكون لنا القبول
فهل متنا بما يكفي لنحيا؟ ودون دمشق كل دم ضئيل
بها امتزج الوليد بياسمين بها اكتشف الإله.. فكان إيل
فغيم دمشق سقف من إله وطين دمشق.. تاريخ طويل
ووجه أبي العلاء يشع فيها كعيسى.. إذ دمشق هي البتول[١]

تحمل الأبيات دلالة "تضخيم وتهويل أمر التخاذل عن نصرة سوريا، فصاغ الشاعر دلالته في مشهد درامي، فالمكان (أعتاب دمشق) بابها ومدخلها، والحدث الأعظم قيامتها وتجمع أبنائها، فالناس أمامها قد صنفوا صنفين: صنف على الهدى، وصنف على الضلال، إما مناضلون ومقاتلون دونها، وإما متخاذلون وهاربون، وفي هذا الموقف يستحضر الشاعر قوله تعالى ﴿اليوم سنجزي كل نفس بما كسبت﴾[٢] ليعطيه تكثيفا دلاليا، وجعله أشبه ما يكون بيوم القيامة، ستسأل دمشق وسيكتسي أبناؤها الخجل، فلا دليل يقدم على حبهم لها، وهذه دلالة على ما يرى من تقصير في الدفاع عنها، وتركها للأوغاد تدمرها، فهي تحتاج مزيدا من الدماء والتضحيات؛ لتحيا وتنتعش. فالشاعر يريد خلق حدثا عظيما يرهب به المتخاذلين.

ولقد اكتسبت دمشق في الأبيات دلالة الأصالة والعراقة، ويأتي ذلك من وصف المكان وذكر أهم مآثره، شوارع دمشق، وياسمينها، وتاريخها العريق، وحضارتها

(١) الأطرش، "ديوان ونعيش ما دمنا نحب "، ١٢٢.
(٢) (غافر: ١٧)

الممتدة، ثم اختص أهم شعرائها بالذكر وهو "أبو العلاء المعري" شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء، فالشاعر يمزج جمال دمشق وتاريخها بعجزهم عن الدفاع عنها، ثم يعود لتشبيهها بمريم ليكسبها دلالة التعظيم وتحقيق المعجزات فهي التي ستلد يوما عيسى ليشع بنوره وعدله. في قصيدة (دمشق تعرف) يستهلها مقدما اسمها على الفعل ليوحي بتأكيد معرفتها له، وأنه لا زيف يمكن أن تصدقه يقول:

دمشق تعرف أحزاني.. وتعرفني وتعرف السر من طيني إلى كفني

دمشق تعرف من همسات أعيننا كم اغتربنا وكم جعنا بلا وطن[1]

تبرز دلالة الانسجام بينه وبين دمشق المكان الوطن المكان الذي سجل أحداث حياته منذ ولادته حتى وفاته، فالدلالة الزمنية من الطين إلى الكفن توحي بالاتصال النفسي والمادي به، فتشطرت دمشق إلى معان ودلالات فهي الذات والروح، هي التي خلقت مع الشاعر منذ ولادته، ولا عمر إلا بقربها، هي الأم الحانية هي القارئة لما تخفيه العيون، هي العالمة التي اكتشفت معاناة الروح، وآلام القلوب، كل الحب والعشق لدمشق الوطن المفقود، يقول:

ويعلم الله أن الروح لو قدرت لاختارت الشام وانشقت عن البدن

يمتدح الشاعر دمشق فهي أقدس المدن وهي شاطئ الأجوبة، هي التاريخ والحكايات والقصص وهنا يأتي الألم العميق في تحول دمشق من أكثر المدن أمنا إلى أثر يرثى:

يا خير من نوديت.. يا بر أسئلتي يا أول الطين.. يا قديسة المدن

كم تحرسين من الأسرار، كم جبل من الخطى والحكايا فيك مندفن

(١) الأطرش "ديوان في هجاء البلاد"، ٢٧.

أفديك من نكهة الحارات باسطة كف الأمان، إلى ماصرت من دمن

تظهر في الأبيات السابقة دلالة رثاء دمشق وذكر محاسنها، هي أول أرض تطؤها قدماه، وأكثر الأماكن قدسية وطهارة، فهو يرى دمشق سفرا يحوي كل ما مر عليه في طفولته وشبابه، فدمشق تربطها بأهلها روابط مادية ومعنوية كثيرة، فدعاه الدمار والخراب الذي حل بها إلى ذكر ما كانت عليه قبل أن تصبح أطلالا، هذا الشعور بالهزيمة لا يزال يلازم الشاعر، مشاعر الافتقاد لها أثر كبير في نفس الشاعر، فيكرر (كم) الخبرية ليوحي بالحسرة، وعمق الجرح على ما افتقده من عمر طويل قضاه على أرض وطنه التي حملت أسراره، ودفنت فيها خطاه وحكاياته. فوصف آثار المكان "ليس إلا تشبث الشاعر بوجوده المكاني الذي أخذ في الارتحال، بل إن رثاء بعض البلدان يجسد تفكر الإنسان في الكون والحياة"(١) يقول:

يا من نحبك في الحالين: قاتلة حبا، ومقتولة حبا.. بلا منن

إنا نناجيك كي تخضل ألسننا فإن منعت، فما للناس باللسن(٢)

يعبر الشاعر عن متعته بتأبين وطنه والبكاء عليه، والصدح بعشقه، فلا منة للحب الفائض للوطن في كل حالاته، فالألسن رطبة بذكر الوطن، والتغزل به ورثائه، فإن جاءها من يمنعها فلا حاجة للناس بهذه الألسن، ومن رثاء (دمشق) قوله:

يامن أعدوا لها في الليل مقتلة وأغرقوا نهرها الصوفي بالمحن

يامن إليك يصلي النور متجها ولا يضيء إذا (لم فيك ينعجن)

(١) فواز معمري، "جماليات المكان في الشعر الجاهلي –المعلقات أنموذجا–"، (أطروحة دكتوراه، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، ٢٠١٨م). ٤٢

(٢) الأطرش "ديوان في هجاء البلاد"، ٢٨.

إليك نحمل أوجاعا وندفنها في ظل بيت نزار خير مؤتمن
والياسمين يجلى النفس، يضبطها على البياض الموشى الطرف بالشجن
وقاسيون يصلي الفجر مقتديا بالغوطتين، وروح الكون في سكن

يذكر الشاعر ماحل بدمشق من مصائب ومحن، ومن تآمر عليها، ولتعميق المأساة استخدم الشاعر أسلوب النداء المتكرر (يا + من) مع تركيز الشاعر على الفعل لقبحه وشناعته، ثم يذهب لمدحها، ويوجه إليها حديثه، وقد فارقها الضياء بعد أن كانت وجهته، فدمشق التي كانت قبلة الضياء، وكعبة العشاق، وملجأ المتوجع، أصبح ياسمينها موشى بالأحزان، وجبلها قاسيون والغوطتين متجهين الى الله مصلين وراجين رفع البلاء، فيظهر الشاعر مشاعر التحسر والألم على ماحل بها. وبهذا يكون الوطن يشير إلى العديد من المعاني والأوجاع والمضامين التي مر بها الشاعر أو أراد التعبير عنها فهو يدل على الموت والفقر واليأس والضياع والتشرد، وحينا آخرا على الثورة والإصرار والفخر والاعتزاز بالانتماء إليه، ومن المعاني النفسية التي دلت عليها الأمكنة الحنين إلى الوطن والاشتياق إليه والضيق والحزن والوفاء للأوطان، وتتعلق – كذلك بالوطن– ثنائيات الظلم والعدل والطمأنينة والفزع والقوة والضعف والحرية والقيد، والنضال والاستسلام.

ثانيا: المكان – المنفى:

عندما يكون المكان منفى لا يشعر الإنسان فيه بالارتياح ولا ينسجم معه تبرز دلالات ومعاني التنافر وعدم التقبل للعيش فيه، فيركز الشاعر في ذكر المنافي على طبيعة الحياة المعيشة للإنسان المنفي، والعذابات التي سيلقاها حتى تعود قدمه مطمئنة إلى وطنه. فيطغى أحيانا الفضاء النفسي على القصيدة، كما في قصيدة (هل تعلمون) التي تشكل معاناة نفسية لدى الشاعر فهو بين عشق المكان والإكراه على تركه، فوجد مكانه خائنا له، هنا الشاعر يغادر نظرته لمكانه، وينظر لأمكنة الآخرين يقول:

يا سادتي الذين في بيوتكم تثرثرون

وتلعنون الساعة التي ولدتم بها

أو تحمدون وتشكرون[١]

يصنع الشاعر مفارقة دلالية بين المستقر والمغترب، وبين ما يحمل كل منهم من مشاعر، ويحاول إبراز دلالة اللامبالاة من الآخر الذي لم يعايش تجربة الاغتراب، فالمكان فالأبيات هو (البيت) يحمل دلالة الاستقرار والأمان، وكأنه يرسل رسالة للمتلقي مفادها أن كل صعوبات الحياة يمكن تداركها واحتمالها، بل والتعايش معها إلا فقد الوطن، ومن ثم يوجه الخطاب ناصحا ويريد من المتلقي استشعار ما هو فيه من نعمة قائلا:

يا أيها الذين لم تغادروا بيوتكم

أو لم تروا من البلاد ربعها

لم تركبوا الباصات والقطار

أو تجربوا النوم على الرصيف

لو تعلمون

كم يخيف

أن يعبر الإنسان جسر العمر

دونما حذائه.. واسمه.. ودونما رغيف

كم يتوق لاجئ لاسمه الذي انطفأ مذ غابت المخارج الأليفة

(١) الأطرش، "ديوان في هجاء البلاد"، ٣٥.

الخطاب للآخر يحمل دلالات كثيرة يعانيها الشاعر وتعبر عن واقعه المأساوي فيأتي بعدة أماكن تعبر عن معاناة المتشرد التائه، فاختار لفظة (البلاد)، ليشير إلى دفء أوطانهم الذي اعتادوا على العيش فيه، ولم يخوضوا تجربة الرحيل على بلاد أخرى، والانتقال إلى مكان متسع يتيه فيه الفرد، فاللفظ يعطي دلالة البرود وتحطيم الكيان، إنه بعيد عن الوطن المكان الحاني الذي يشعر فيه الإنسان بالألفة. الإنسان الذي "يعلن دائما عن حاجته إلى إقرار وجوده والبرهنة على كينونته من خلال الإقامة في مكان ثابت سعيا وراء رغبة متأصلة في الاستقرار وطلب الأمن للذات"(١)، فذكر الشاعر تفاصيل المكان الغريب (باص، قطار، رصيف) التي تحمل دلالة الشتات والتنقل وعدم الاستقرار، غربة مكتملة الأركان هرب إليها وحيدا وترك كل ما يتعلق به، وحمل لقب (لاجئ) ونسي اسمه، فتظهر دلالة التحول في كيان الإنسان من الاستقرار إلى الشتات. ثم يعود لمتلقيه ليعطي البيت دلالة الخيانة فيقول:

لا تتركوا بيوتكم

فالبيت كالإنسان قد يخون

هذه النصيحة التي يقدمها المغترب تأتي لتعظم من قدر البيت الخاص بالإنسان، وهو يعبر عن معاناة روحية يقاومها الشاعر.

وفي قصيدة (مطر) يقول:

مطر كئيب

وأنت تركض في الشوارع كالحياة

تشم وجد الأرض، رائحة الخطا

(١) حسن بحراوي، "بنية الشكل الروائي"، (ط١، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م) ، ٥٣.

ها أنت تركض كي تعود إليك

لكن المسافة طلقة

وحنين أمك لم يعد يكفي لترجع.. يا غريب

مطر قريب(١)

يظهر المكان المنفى في هذه الأبيات يحمل دلالة السوداوية والكآبة، وعدم الشعور بجمالية المكان الغريب فالمطر يتساقط، ولكنه كئيب لأن النفوس لا تشعر بفرحة زخاته، الغريب يركض في الشوارع لماذا؟ ليعود إلى نفسه الأولى إلى ماضيه، واستقراره. **ويقول:**

سنحب ما دمنا نعيش

ونعيش ما دمنا نحب

ونظل نحمل في رحيل البحر أشواق الرجوع إلى المكان

ونظل نحلم باليمام(٢)

في المنفى تظهر دلالة الشوق إلى الوطن الذي عبر عنه بـ"المكان"، وفي نظرة مستقبلية يتوشى بها الأمل يرى الشاعر أن الحب والحياة مرتبطان ببعضهما، فمادام في القلوب حياة ستحب وتعشق، والحب هو الذي يدفعها للحياة، وسيبقى الشوق إلى المكان هو المرافق للراحلين الملازم لأرواحهم، فالارتباط بالمكان لا يحله بعد ولا مشقة رحيل. **يقول:**

(١) ياسر الأطرش، "ديوان وقلبي رغيف دم مستدير"، (ط١، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢م)، ٩.

(٢) الأطرش، "ديوان وقلبي رغيف دم مستدير"، ١٢.

سأقول للمنفى

قتلتك

قبل أن آتي إليك

فليس لي وطن

أهاجر منه

أو جنح يخاف من الشباك

ويقول لي المنفى

أحبك

فانظري أماه ما اقترفت يداك[1]

يخاطب المنفى، الذي يحمل دلالة الرفض والكره، فجاء "القتل" في البيت مجازي فهو مكان بلا روح، مكان لا يستحق أن يحمل ذكرى أو يسجل تاريخ، فهو يرى نفسه بلا وطن، ولا يخاف الشباك، وهذا يعني أنه لا يخشى التعثر في الوصول إليه فالطريق ميسر للمنفى، ولكن المنفى يبادله الحب، ويحمل هذا دلالة السخرية من المنفى الذي لا مقر غيره. ويقول:

طاوون في رحلنا لا كيل من أمل خاوون قشر لحاء الوهم ندرع

نرشو الظلال لتمشي قبلنا، وبها قامات من قصروا بالذل ترتفع

صـدر الغـريبة موقوت وهل لـبن ما فيه طعم حنان أهله شبعوا؟[2]

(١) ياسر الأطرش، "ديوان بين السر وما يخفى"، (ط١، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م)، ٣٦-٣٧.

(٢) الأطرش، "ديوان في هجاء البلاد"، ١٧.

ففي الأبيات السابقة تفيض مشاعر اليأس والخيبة، فالمكان الذي يحوي هذه المشاعر هو (الرحل) الذي يحمل دلالة التشتت وعدم الاستقرار، يطويهم الجوع إلى الأمل يلبسون قشور الأوهام، ثم رسم صورة تصور هذا الوهم فيقدموا الرشوة للظل لتظهر قاماتهم طويلة بينما قد قصروا من الذل الذي تعرضوا له، فهو متعلق بأي وهم يمكن أن يجعل لهم قيمة بعد التشرد، ثم يتصور (بلاد المنفى) كالمرأة الغريبة التي وإن أطعمتك اللبن فهو بلا حنان، ولا رأفة، وهذا يعني أن المنفى لا يمكن أن يحل محل الوطن. ويسترسل الشاعر في وصف المغترب فيقول:

يرتبنا الرصيف على الشتات.. بلا لغة

شاخت حقائبنا؛ ودار بها المكان

طفل يفتش في البراميل الصديقة عن بلاد

كل ما في الأمر أن الوعد لن يأتي

وأنك سوف تنتظرين شمسا لا تجيء

خرج الزمان على التكرر في الزمان

وأنا أحبك.. في المكان.. غريبة

وحميمة.. في اللامكان[١]

ويحمل المنفى دلالة احتقار الذات، فيذكر الشاعر عدة تفاصيل للمكان أولها "الرصيف" جانب الطريق ليوحي بعدم الأهمية، فهذا المكان السيء الذي حل محل الوطن أصبح طريقا للشتات والحيرة، ومن تفاصيل المكان "الحقائب"، وقد أصابتها الشيخوخة للدلالة على طول مدة الشتات والألم، ودار بها المكان أي تحول وتبدل بها

(١) الأطرش، "ديوان وقلبي رغيف دم مستدير"، ٢٤.

الحال لتكون الحقائب المعادل الموضوعي لأصحابها.

ثم يعتلي صوت اليأس وانقطاع الأمل فالوعد لن يأتي، إذن لا عودة للانتصار، وتحقيق الأماني، والعودة إلى الأوطان شمس لن تجيء ولن تشرق، فالزمن قد توقف عن التكرار وهذه البلاد عشيقته وإن كانت غريبة، وهي قريبة حميمة وإن كانت تتجاوز حدود المكان. **وفي قصيدة (إلى بدر شاكر السياب) يقول:**

خالق الجوع

كيف احتراق رغيف البلاد على مجمر النفي

كيف العراق؟!

فخذني "لإقبال" في العيد.. دمية

لجيكور مسحة حزن عليك

وخذني إليك

لنشرب جوع العراق بعيدا

ويبقى المطر(١)

يذكر الشاعر الأماكن والأحداث المشابهة لما يحدث له، فعند ذكر بدر بن شاكر السياب يبرز الشاعر أهم مظاهر شعره وهو الاغتراب والحنين إلى العراق، وهو موضوع يلامس نفس الشاعر، للتقارب المعنوي بينهما، فجاء السؤال عن الوطن، كيف احترق في نار المنفى؟ وكيف هو؟ احتراق الوطن هو احتراق الأنفس المشتاقة إليه و(المنفى) في البيت يدل على القهر والألم الذي شعر به وهو يعيشه، فيرى في السياب مسحة حزن على بلده "جيكور"، ويأتي الطلب ليسير معه في رحلته ويشاركه

(١) الأطرش، "ديوان وقلبي رغيف دم مستدير"، ٣٨.

الجوع للعراق، والشوق لها، فهما في حال واحد منفى، وشوق للوطن. ويقول:

عائدا من مطلع الفل إلى الظل

بلا اسم وبيت

ليس لي أهل

ولكني أتيت

من حياة الموت كي أحيا مماتي

ليس لي حبة رمل

في غبار النيل

أو كوخ فقير في الفرات

ليس لي أرض

ولا منفى

ولا بقعة ضوء في الرخام(١)

يرتبط المكان في الأبيات السابقة بدلالة الموت والهروب منه وضياع الهوية، والإفلاس من كل شيء، فهو مشرد وخائف ويفتقد وطنه، فيذهب لذكر أماكن مختلفة تصور ضيق نفسه، وقلة حيلته، فليس له مكان لا في مصر، ولا في العراق، ولو جزء صغير من مكان فهو لا يمتلك شيئا لا حبة رمل، ولا كوخ فقير، لا وطن أصيل ولا منفى، وهذا يوحي بافتقاد الشاعر ذاته وخوائه النفسي يقول:

لقت ماتت بلادي

(١) الأطرش، "ديوان بين السر وما يخفى"، ٥٩.

فارفعي عني متاريس العتاب

الموت في البيت يعني انقطاع الشعور بالوطن واليأس من العودة إليها.

ويقول في قصيدة (منفى أقل):

حارات إسطنبول مغرية

ينام العاشقون ولا تنام

كأنها موصولة بالغيب

لكن

حضن ضيعتنا الصغير

يظل أوسع

فهو يحتضن المدى

ويحد أطراف الضياء

ولا يخون الراحلين[1]

يبرز الشاعر مفارقة دلالية بين (إسطنبول) المنفى وضيعته الصغيرة ليركز على دلالة أن الارتياح النفسي هو الذي يصنع المكان، فإسطنبول في قصيدة "منفى أقل" مدينة الحياة والاتساع، هذا الانشراح لا يراه الشاعر فهو يشتاق إلى ضيعته الصغيرة التي لا يشعر فيها بالضياع، فالمختلف في المكانين هو الانتماء الروحي الذي يشده للقرية الصغيرة ولا يجده في مدينة كبيرة كإسطنبول التي ستبقى منفى. وبهذا يكون المنفى قد دل على أحوال نفسية كثيرة منها الضياع والهوان والتشرد وفقدان الهوية، والإحساس بالغربة والخيانة، وانقطاع الأمل واليأس والخيبة، فنشأت مشاعر السوداوية

(١) الأطرش، "ديوان في هجاء البلاد"، ٣١.

والكآبة والاشتياق للوطن الأم، ويظهر موقف الرفض والكره للمنفى وشتمه واحتقاره مما يستدعي دلالة الموت والافلاس والقهر والألم.

ثالثا: المكان الهندسي:

تتوشح تجربة ياسر الأطرش بالقسوة والألم فالمكان عنده متنوع، فهناك مكان ضيق صغير قد عاش فيه كما يعيش الآخرون، وهناك مكان متسع يشعر فيه بالضياع. ولكل مكان دلالته المؤثرة في نفس الشاعر، **يقول في قصيدة (انهض من الجسد القتيل):**

وعاد عيسى

يوقد النور المبارك في ثرى قانا الجليل

فجر ضئيل

سبحان من أسرى..

وتتصل المآذن بالسماء

الأغبياء!

لا تقتل الأرض

التي احتضنت صلاة محمد بالأنبياء

لن تقتل الأرض

التي احتضنت صلاة محمد والأنبياء![١]

تحمل الأسطر السابقة عددا من الدلالات الدينية، والتي لجأ إليها الشاعر

(١) الأطرش، "ديوان ونعيش ما دمنا نحب"، ١٠٥-١٠٦.

مستبشرا بانفراج كربته، فعندما قال "عاد عيسى" تحدث عن معجزته في قانا الخليل، ويوحي استحضار هذه القصة إلى تحري الشاعر لأي أمل قد يغير في مصيرهم، أمل يأتي كالنور الذي بعثه عيسى عليه السلام، ثم قال "فجر ضئيل" فهنا بدايات الزمن وانبثاق الضوء وإن كان طفيفا إلا أنه يشرق في النفس الكئيبة، هنا يبرز التعلق بالله – سبحانه وتعالى– ويستحضر معجزة أخرى وهي مسرى ومعراج الرسول عليه الصلاة والسلام، فهذه الأرض المقدسة التي أشرقت بضياء الأنبياء لن تقتل، لن تفنى، لن تختفي، فقد ارتبط الزمن في البيت بانبعاث الحياة مرة أخرى، وتغير كثير من أحداثها.

ويقول:

إذا صرخت بأقصى القدس أم يشق البحر، والدنيا تميد

وتبيض العيون أسى وقهرا وتبكي صخرة، ويئن عود[1]

في البيتين السابقين حديث عن القدس المحتلة، جاءت الأبيات في سياق التلاحم بين العرب والمسلمين، فصرخة الأم في القدس تتحرك لها الشعوب، وتبكي العيون، ويحن لها حتى الجماد.

تتضاعف أحزان الشاعر حتى تضيق به الأرض فيقول كارها لها:

يا قادمين من الأحلام لا تلجوا بوابة الأرض، إن الناس قد جمعوا

مروا إلى غدكم من غير كوكبنا ولا تكونوا كمن في الفخ قد وقعوا

أما ترون إلى الأرواح يطحنها عصر الزحام ويربي طحنها الطمع

نهر من الخوف والآلام يعبر من تحت الجنان التي في وهمها قبعوا [2]

(١) الأطرش، "ديوان ونعيش ما دمنا نحب"، ١٢٥.

(٢) الأطرش، "ديوان في هجاء البلاد"، ٢٠.

فالمكان الواسع هو (الأرض) ذاك الكوكب العظيم، فيرى أنه لم يعد يصلح للحياة، وأنه فخ يحذر منه الحالمين، فربط دلالة الأرض بالقتل والظلم والخوف، فهذا التعبير يحمل معنى الضجر واليأس والنظرة السوداوية للعالم كله. فيستخدم الشاعر أسلوب الأمر قائلا:

فروا.. فإن يد الإحسان قد قصرت والوقت قد غادرت أيامه الجمع

فهذه الأرض لا ينمو النهار بها وهامش الحب فيها ضاق.. فاتسعوا

فهذه الأرض، مكان يعبر عن ما وجد من ظلم وعدوان، فهي مظلمة لا نهار فيها، من أجل ذلك يرى الشاعر أن الحل الوحيد هو الفرار والرحيل والاتساع في مكان آخر. ويقول:

ونحن الآن من.. من أي أرض ومن آباؤنا والأمهات

خرجنا من بذور الخلق عقما وماتت في خليتنا النواة

فلا مال يزيننا وولد وأين الباقيات الصالحات

نولول كلما قصفت بلاد وتضحك في السماء الطائرات[1]

ارتبطت دلالة المكان في الأبيات السابقة بـ (الهوية) التي افتقدها بسبب الحرب، فالاستفهام الصادم الذي وصل إليه الشاعر بعد سلسلة من المعاناة والآلام (من أنا؟) هنا نضج الحيرة وقمة الضياع، لا يدري من هو ولا من أي أرض، هل خرجوا عقما؟ يشير هذا السؤال انقطاعهم عن ماضيهم وحاضرهم، كل هذا يوحي لنتائج الحرب وقسوتها عليهم. ثم يظهر التناص مع القرآن ليشكل صورة مضادة تتوشى بالقهر

(١) الأطرش، "ديوان ونعيش ما دمنا نحب"، ٨١.

والوجع، فلا يزينهم مال ولا ولد، وقد أضاعوا الباقيات الصالحات، وفيه استحضار لقوله تعالى: ﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا**﴾(١). فلم تغرهم الحياة بشيء من مال أو ولد، ولم يتبق لهم غير الولولة كلما رأوا قصفا، ويوحي ضحك الطائرات بسعادة الأعداء بهذا القتل والتدمير. يقول حول هذا المعنى في قصيدة: (مستودع الموتى):

لا تقلقوا
كل الذين جمعتهم حولي
على حب الرصيف
تفرقوا
لا تقلقوا
مادام للجدران آذان
وللكفين قيد
مادام ينبت في قلوب الناس حقد
مادام للمسجون آهات
وللسجان زند
الطين يكفي
كي يزيل الناس آثار النهار عن البيوت
الطين يكفي

(١) (الكهف: ٤٦)

كي نموت[١]:

(الرصيف) من الأماكن الرمزية التي توحي بالضياع والبعد عن الوطن، ففي الأسطر السابقة يطمئن الشاعر المخاطب المتخاذل عن نصرته، فهو ومن معه من التائهين قد تفرقوا، ثم يتحدث الشاعر عن يأس كبير وتأزم نفسي حين لا يجد من الحلول إلا الموت، فتأتي من تفاصيل المكان صورة "للجدران آذان"، للدلالة على عدم الإحساس بالأمان وتقييد الحرية، ومصادرة الآراء مما يدعو إلى تفرقهم وشتاتهم، ثم ينتقل لـ(السجن) الذي يعبر عن الضيق والألم، ومن تفاصيل هذا المكان (الزند والسجان) فتعلو آهات الوجع، فينتقل أخيرا إلى (البيوت) الخالية من أهلها التي ستدفن ثم يأتي الموت لينهي كل شيء. فالشاعر يخرج من البيت للرصيف ويعود إليه مدفونا بعد مروره بالسجن، فهذه الأماكن تعبر عن مشاعره النفسية من شتات وآلام. **ويقول في قصيدة (أرصفة):**

عيناك بستانا بكاء

وأنا غبار بين أغنيتين يسفحني الحنين

حتى التفاصيل التي ملأت شقوق الذاكرة

هربت مع المطر المسافر في الدخان

عيناك في خوف الأزقة وردتان

وأنا الرصيف المقتفي عشب الخطا

بيني وبينك ردة أو برزخان

وأنا الرصيفي المهاجر في عيون التائهين

(١) الأطرش، "ديوان ونعيش ما دمنا نحب"، ١٠٧.

ذكرى وطن[١]

(البستان) من الأماكن التي توحي بالارتياح ولكنها جاءت في الأبيات للدلالة على الأحزان والبكاء، أما "الذاكرة" التي تحتفظ بتفاصيل المكان القديم قد تمكنت هذه التفاصيل من الهرب، دلالة على نسيانه تلك الأحداث، ثم تأتي (الأزقة الضيقة) التي تعبر عن الخوف والضيق النفسي. أما (الرصيف) الذي يركن في جانبي الطريق، فيراه مرادفا له، رصيف يقتفي المارين، يبحث عن أمل، فهو "مرتبط بالعابرين إلى مآربهم، وبالتالي هو مكان عبور، والشارع متبدل متحول وفق علاقته بالزمن، فهو في النهار يضج بالحركة والزحام، وفي الليل يرتبط بالوحشة والخوف"[٢] ثم تتجلى الحسرة في نفس الشاعر عندما يرى أن بين مكانه ومكانها حاجز صلب لا يمكن تجاوزه، هذا الحاجز الذي يستحيل أن يلتقيها بسببه، فهذا "الرصيفي" بمعنى المهمش الحائر التائه الذي بلا وطن، وكذلك الوطن هو المعادل الموضوعي للحبيبة الحزينة الممنوع عنها والمحروم منها. ومن الأماكن المعادية السجون، يقول عن طفل فلسطيني:

تضيق بك البلاد، وأنت طير وتتسع الزنازن واللحـــود
وترسلك السجون إلى شجون وأنت كتاب نفيك والبريد
وأنت الأرض والمنفى.. وشيء لشـــدة قـربه منا.. بعيـــد[٣]

عندما ذكر الشاعر كلمات (البلاد، الزنازن، اللحود) برزت دلالتا (الحرية والعبودية) فالطير الحر قد ضاقت به الأماكن الواسعة، فدخل الأماكن الضيقة

(١) الأطرش، "ديوان وقلبي رغيف دم مستدير"، ٢٣.
(٢) زياد الأحمد، "أزمة الهوية والاغتراب في شعر ياسر الأطرش"، (تركيا: كيميلك يانيلاري، ٢٠١٩م)، ١٤٥.
(٣) الأطرش، "ديوان ونعيش ما دمنا نحب"، ١٢٥.

(الزنزانة) ثم الأكثر ضيقا (اللحد)، فيجتمع المتنافران (الأرض والمنفى) (البعد والقرب) للتعبير عن الاحتلال الغاشم لبلد الفلسطيني.

يعد الانتقال بين المكان الضيق والمكان الواسع تعبيرا عن الصراع الداخلي الذي يعيشه الفرد. هذا الصراع يتجلى في كلمات الأطرش، حيث ينتقل بين الأمل في التحرر من القيود والمعاناة المرتبطة بالمكان الضيق.

الناس فوق الناس

أكوام من اللحم المشقق والعذاب

الناس من تعب

ووجهك من غياب

وتراثنا

عرش على مستودع الموتى

وفوق العرش فرد..

شقي الثياب إذا

لأشهد(١)

"مستودع الموتى" مكان يفيض بالغرابة فالمستودع من الوديعة مكان تودع فيه الأشياء، وفي البيت تودع فيه جثث الموتى التي وصفها بقوله: "الناس فوق الناس"، و"أكوام من اللحم المشقق"، ففيها وصف للمجازر التي كانت نتيجة الحرب فهي متراكمة كثيرة، أجساد قتلت بالأسلحة الفتاكة التي مزقتها وبعثرتها، ويقبع على

(١) الأطرش، "ديوان ونعيش ما دمنا نحب"، ١٠٧.

المستودع مكان آخر هو "العرش" عرش الحاكم الطاغي الذي أقام حكمه على جثث البشر وانفرد بالوطن. وهنا تظهر المفارقة بين ضيق المكان في المستودع الذي تتكدس فيه الأشياء فتبرز دلالة الهوان الضيق النفسي التي وصل إليها الشعب، ويشير في قوله "تراثنا" إلى نوع من الذاكرة الجمعية، التي تحمل أبعادا تاريخية وثقافية، وكل هذا الإرث الذي يتكئ عليه الشاعر يهون من مصابه الجلل حيث وضعه أعلى (العرش) في حين يعيش الظالم الغاشم في فضاء متسع، على هذا العرش، ما يحمل دلالة ضياع هذا الإرث العظيم بحكم فرد واحد.

يعبر هذا التركيب عن التناقض بين الفخر والتاريخ من جهة، وافتقاده واستلابه منهم من جهة أخرى، حيث يجسد المكان الواسع عظمة التراث، ولكنه يتفاعل بشكل مأسوي مع المكان الضيق الذي يرمز إلى الألم والفقد.

رابعا: المكان المجازي:

يعني المجاز اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة[1]، وهو من صور الانزياح الذي يختص بخروج اللغة إلى آفاق فنية إبداعية يحكمها السياق الشعري ويحدد دلالاتها، فظهر استعمال الشاعر للغة المجازية التي تعمل على تكثيف وتعميق الدلالات الرمزية، وتنوعت هذه العلاقات الدلالية في العبارات المجازية التي اقترنت فيها، فتعددت صور المكان الخيالي المثير الذي يهرب إليه الشاعر من واقعه أو يرسمه ليعبر عن خلجات نفسه وخوافيها. يقول الشاعر في عمر بلا معنى:

هربنا من تراكمنا.. فصارت بيوت الذات يسكنها البديل

(١) أحمد الهاشمي، "جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع"، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٩م)، ٢٥١.

لنـا عمـر، وما عمر لـدينا ومـاذا ينفع العمـر القتيل؟[١]

فاقترنت البيوت بالذات للتعبير عن كيانه وداخله النفسي، الذي يشعر فيه بالخواء والضياع حتى هرب من ذاته. فجاءت هذه الصورة لتؤكد على فقدان الإحساس بالسعادة. والشعور السلبي تجاه الحياة، ذاك البيت حل به آخر وهذا العمر مفقود لأنه يفتقد للحياة الحقيقية.

في قصيدة (مدارات النحاس):

يا للخريف

كل الذين أحبهم، ركبوا قطار اليأس

واتجهوا إلى أحزانهم

حتى المحطة أوصدت دمها

وما عاد النزيف يعانق الأيدي

وما عادت تلوح للمسافر أمه

سقطت مناديل الوداع على رصيف الملح.. واختنق السفر

يا للرصيف[٢]

جاءت الصورة الخيالية في الأسطر السابقة حول دلالة الصورة الجديدة للسفر التي تحمل معاني اليأس والحزن، فيجمع الشاعر بين المتباعدات تحت إطار المجاز فيجعل لليأس قطارا، وسيلة تعبر الأمكنة تحمل اليأس والكآبة، فاليأس بفعل القطار

(١) الأطرش، "ديوان ونعيش ما دمنا نحب"، ١١٩.

(٢) الأطرش، "ديوان وقلبي رغيف دم مستدير"، ٤٧.

أصبح متنقلا يرافق الانسان أيما ذهب، وأما المكان المستقبل له هو الحزن بعد أن تماهى بالمكان وشكل تفاصيله، وحملت عبارات (مناديل الوداع)، (رصيف الملح)، (اختنق السفر) إلى تغير معنى السفر فلا عناق أياد ولا تلويح مسافر، فراق مفاجئ، وقد شخص السفر مختنقا بالحزن والألم، وهو ما يوضح مشاعر الشاعر ونظرته للانتقال بين الأمكنة. **ويقول:**

عشب على كل المدى فالصوت يحتضن الصدى

والسكة الثكلى سدى تمتد قفرا بيننا

من أين أنت؟ ومن أنا؟

لم كل هذي الغربة الحمقاء تصبح ظلنا؟

أنت المدينة، والعصافير التي تلغي المدينة والمدى

أنت الجهات الكل

أشرعت المسافة حد قامتها

فما وصلت يدا[1]

أضاف للسكة صفة (الثكلى) وهي للمرأة التي فقدت ولدا، وهذه الاستعارة التي استعملها الشاعر وربط بين السكة والمرأة الثكلى يريد منها التعبير عن حالة الفقد وانعدام التواصل بينه وبين حبيبته، ثم يلجأ إلى التساؤل الذي تحتضن إجابته تفاصيل مكانية (أنت المدينة)، فهو يرى الحبيبة الحاوية له التي تكون كل الحدود المكانية حوله، ثم يشتكي الغربة ناعتا إياها بالحمقاء، وكأنها تحمل عقلا يعيبه النقص.

(١) ياسر الأطرش، "ديوان قش ضفائرها لعشك"، (ط١، دمشق: كوبيا للطباعة، ١٩٩٤م)، ٣٠.

كلانا سيمضي تاركا حب أهله على حجر، في ركن بيت بلا قلب

ويحشر في قاع الفراغ فريسة يسير محبوها على سنة الذئب[١]

(بيت بلا قلب) كناية عن البيت المهجور الذي لا ينبض فيه حب أو شعور، فتدل هذه العبارة على سكونه وخلوه من أهله، ثم يظهر مكان آخر هو (قاع الفراغ) متصورا الفراغ مكانا وفي أعمق جزء منه يوجد فريسة، وما هذه الفريسة إلا ذاته الخاوية من كل روح، تتربص بها الذئاب. **يقول:**

خل السعادة للأطفال تغمرهم وازرع بحقل عيوني كل سكين

سأستحيل مدى للحزن، أنجمه زهر، ومنها رجوم للشياطين

أنا المدجج بالجنات، أزرعها حتى تقوم قلوب كالبساتين

تعددت في الأبيات السابقة الأمكنة التي تدل على ما ينافي مشاعر الشاعر فهو يستخدم ألفاظ أمكنة تدل على الارتياح والسعادة "الحقل، الجنات، البساتين"، فجعل لأعينه حقلا ولكنه لا يعشب بل تزرع فيه السكاكين، ويعني ذلك الجروح والآلام والتعاسة التي يشعر بها ورؤيته ما لا يحب، ثم أراد التحول إلى (مجال الأحزان) مجال في مكان مرتفع يعلو البشر، ليسقط النجوم، إما زهرا رقيقا يسقط على من يحب، أو رجوما للظالمين الذين عبر عنهم بالشياطين، ثم يجعل من ذاته مكانا مدججا وقد جاء بهذا اللفظ من معجم الحرب، ليشعر المتلقي بالمفارقة الدلالية بين سعيه للخير الذي دلت عليه عبارة (مدجج بالجنات) وبين نيات القاهرين.

وبهذا فهو يظهر دلالة التعظيم وتفخيم الحزن إذ جعل من عينه حقلا يحتمل

(١) ياسر الأطرش، "ديوان وإني قليل فكوني كثيري"، (ط١، مسقط: بيت الغشام، ٢٠١٦م)، ٩٣.

الآلام والأحزان، وجسده مكانا واسعا لها، ثم ينتقل للتفاؤل الروحي وأمله في تغييب هذه الأحزان وتبديلها بالفرح الذي دلت عليه ألفاظ (البساتين–الجنات). **ويقول:**

مـــدن منـــافقة، وريف أحمق والمـــاء بينهمـــا ضرير يغرق

والشمس تنجز وعدها، لكنها عبثا على تلك الأماكن تشرق...[1]

تظهر في الأبيات دلالة (الغضب ورفض الواقع) إذ يجسد الشاعر الأماكن (المدن، الريف) ويجعلها منافقة وحمقاء وكذلك الشمس عابثة عند إشراقها على هذه الأماكن، وتحمل هذه الصور دلالة استمرار الوضع الآسي وثبات الحال في الأماكن التي لا تستحق الحياة. **ويقول: في قصيدة (انهض من الجسد القتيل):**

حزموا عناوين البيوت

وما تبقى من شوارعهم

وغابوا

تركوا حقائبهم على كتف الزمان

تطير أوراق وينعتق اغتراب

رفعوا كتاب الله

فوق الرمح

فانكسر الصدى العربي

لا خيل تكر

ولا مصابيح تغازل أعين الآتين من ليل

(١) الأطرش، "ديوان في هجاء البلاد"، ٢٣.

كأنهم الصباح

عواصم خرساء

قد ملت تدق يد مضرجة

ولم يفتح بقلب الناس باب(١)

يظهر التشكيل الخيالي في مطلع القصيدة لينقل تفاصيل الرحيل الموجعة؛ رحيل المجبر على ترك وطنه، فقد "حزموا" جمعوا وشدوا عناوين بيوتهم، ثم غابوا غياب الذي لا يدري هل سيعود أم لا؟

هنا يتوقف الزمن حاملا ما تبقى منهم، وقد جعل للزمن كتفا تحمل حقائبهم، غائصين في الغربة، ثم يلجأ الشاعر إلى الرمز لوصف تخاذل العرب عن نصرتهم فقال "عواصم خرساء" و"خيل لاتكر" كناية عن عجزهم وصمتهم أمام ما يحصل لهم من تنكيل وظلم، وقال "لا مصابيح تغازل" فالضوء لا يكاد يلوح لهم ولو من بعيد، ثم اختزل الأمة المظلومة بعبارة "يد مضرجة" ملطخة بدماء الجور هذه اليد قد طال بها الزمن وهي تقرع أبواب القلوب لعلها تجد من يجيب ويحن وينتصر لها. **ويقول:**

قد حزمنا حقيبة العمر لما كل شيء عن كل شيء تخلى

وانتعلنا وجوهنا في المنافي حافي الوجه كان من ليس نعلا(٢)

التركيب (قد حزمنا) يدل على الحال، والحزم بمعنى الشد بعد الجمع، وكيف لسنين العمر أن تجمع كالمتاع في الحقيبة، فهو يختزل زمنا طويلا في موقف التخلي، فتتراكم

(١) الأطرش، "ديوان ونعيش ما دمنا نحب"، ١٠١.

(٢) الأطرش، "ديوان ونعيش ما دمنا نحب"، ١١٣.

مشاعر الحزن واليأس، وتظهر دلالة الضياع من قوله "كل شيء عن كل شيء تخلى" هنا التشظي والحيرة، فيحاول إكمال الموقف في البيت الثاني مستعملا بعض الألفاظ التي تدل على جلد الذات، ووصف قسوة الحال، فـ "المنافي" المكان الذي كان لا يذهب إليه إلا المطرود من وطنه الخائن لها، أصبح ينفى إليها الشخص مجبرا عليه بلا ذنب قد اقترفه، ثم يأتي التشكيل التصويري في أن يجعل وجهه نعلا يسير عليه، وهذه الصورة تحيل دلاليا إلى كرامته التي ضاعت وهو مشتت بلا انتماء وبلا هوية.

خاتمة

تناول هذا البحث ظاهرة المكان في شعر الشاعر السوري "ياسر الأطرش"، وقد درست عددا من قصائده التي برز فيها المكان، دراسة وصفية تحليلية، وقد ظهر أن المكان يشكل أزمة لدى الشاعر، وأعظم مصيبة قد تمر على الشخص في حياته، وهي انهيار الوطن، وتشتت الشعب، فكان الشاعر السوري شاهد عيان على كل مراحل تدمير وطنه، وتشريد أهله، فكتب قصائده المثقلة بالهم والحزن والتحسر، وتمت دراستها في أربعة مباحث: الأول: تحدثت فيه عن دلالات المكان الوطن، فطغت الدلالة النفسية المفعمة بالشكوى والألم والفقد والبكاء، وفي الثاني: تحدثت عن المكان المنفى، فظهرت دلالات التشرد وكره المكان والعداء له وفي الثالث: تحدثت عن المكان الهندسي الواسع والضيق وتوصلت إلى عدد من الدلالات منها الضيق والقهر والضياع. وفي الرابع عن المكان المجازي الذي تناول الدلالات الايحائية للأمكنة. وتوصلت إلى عدة نتائج هي:

- طغى ذكر المكان في قصائد الشاعر وهو نتيجة طبيعية لمبدع يكتب في المنفى.
- ظهر تنوع الأمكنة حسب الزمان بين وطن كان، ومنفى لا يزال، وأماكن أخرى تتشابه أحداثها وأحداث وطنه.
- اكتست الأماكن بمشاعر الغربة، فكان المكان رمزا للحزن، والبكاء، والشكوى، والضياع.
- كان المكان في شعر الشاعر ركيزة مهمة، وركنا لا يمكن الاستغناء عنه في بناء الصورة الشعرية، والمعنى العام لنتاجه الشعرية.

وبهذا يكون الشاعر "ياسر الأطرش" قد عبر عن معاناة شعب كامل، وأظهر وفاءه وعشقه لوطنه، ومن سكن واستقر فيه، وقد خلد هذه المأساة في نتاجه الشعري.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

ياسر الأطرش، "ديوان بين السر وأخفى"، (ط١، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م).

ياسر الأطرش، "ديوان في هجاء البلاد"، (ط١، إسطنبول: دار ميسلون للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٨م).

ياسر الأطرش، "ديوان وقلبي رغيف دم مستدير"، (ط١، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢م).

ياسر الأطرش، "ديوان ونعيش ما دمنا نحب"، مختارات شعرية، (ط١، الشارقة: إصدارات روايات، ٢٠٢٢م).

ثانيا: المراجع:

القرآن الكريم.

ابن منظور: "لسان العرب"، (ط٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ).

أحمد طاهر وآخرون: "جماليات المكان"، (ط٢، الدار البيضاء: دار قرطبة، ١٩٨٨م).

أحمد الهاشمي، "جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع"، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٩م) جيرار جينيت وآخرون، "الفضاء الروائي"، ترجمة: عبدالرحيم حزل، (المغرب: إفريقيا الشرق، ٢٠٠٢م).

حاتم الصكر واعتدال عثمان: "الشعر ومتغيرات المرحلة"، (ط١، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٩م).

حسن بحراوي، "بنية الشكل الروائي"، (ط١، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م).

زياد الأحمد، "أزمة الهوية والاغتراب في شعر ياسر الأطرش"، (تركيا: كيميلك يانيلاري، ٢٠١٩م).

علي الجرجاني، "التعريفات"، تحقيق: جماعة من العلماء، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م).

غاستون باشلار: "جماليات المكان"، ترجمة: غالب هلسا، (ط٢، بيروت: المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٤م).

فواز معمري: "جماليات المكان في الشعر الجاهلي –المعلقات أنموذجا–"، (أطروحة دكتوراه، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، ٢٠١٨م).

Bibliography

First: Sources:

Yasirr al-Atrash. "Diwānun baina al-Sirr wa-Akhfā", (1st edition, Damascus: Ittihād al-Kitāb al-ʿArabi, 2000).

Yasirr al-Atrash. "Diwānun fi Hijāʾ al-Bilād". (1st edition, Istanbul: Dār Maysalun, 2018).

Yasirr al-Atrash. "Diwān wa-Qalbi Raghifu Daminn Mustadīr". (1st edition, Damascus: Ittihād al-Kitāb al-ʿArabi, 2002).

Yasirr al-Atrash, "Diwān wa-Naʿīsh mā Dumnā Nuhib", Poetry selections, (1st edition, Sharjah: Novel Publications, 2022).

Second: References:

al-Quran al-Karīm.

Ibn Manzur. "Lisan al-ʿArab" (3rd edition, Beirut: Dār Sadir, 1414 AH).

Ahmad Tahir et al. "Jamāliyāt al-Makān", (2nd edition, Casablanca: Dār Cordoba, 1988).

Ahmad Al-Hashimi, "Jawahir al-Balāgha fi al-Maʿāni, al-Bayān, wa-al-Badīʿ". (Beirut: al-Maktabat al-ʿAṣriyah, 1999).

Gerard Genette et al. “The Novelistic Space”. Translated by: Abdel Rahim Hazal, (Morocco: East Africa, 2002).

Ḥātim al-Sakr and Etidal Othman. "al-Sheʿr wa-Mutaghayirāt al-Marrḥalah". (1st edition, Baghdad: Ministry of Culture and Information, 1989).

Ḥasan Bahrāwi. "Binyat al-Shakl al-Ruwāʾī". (1st edition, Beirut: Arab Cultural Center, 1990).

Ziyād al-Ahmad. "Azmat al-huwīyah wa-al-ightirāb fī shi‘r Yāsir al-Aṭrash". (Turkey: Kimlik Yanilari, 2019).

ʿAli al-Jurjāni, "al-Taʿrīfāt". Investigated by: a group of scholars. (1st edition, Beirut: Dār Al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1983).

Gaston Bachelard. "Jamāliyāt al-Makān". Translated by: Ghalib Hilsa. (2nd edition, Beirut: University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, 1984).

Fawāz Maʿmeri. "Jamālīyāt al-Makān fī al-Shi‘r al-Jāhilī-al-Mu‘allaqāt unmūdhajan -", (PhD thesis, Mohamed Boudiaf University, Algeria: 2018).

١٣٨
١٩٦

The Islamic University Journal of Arabic Language and Literature

Issue : 15

Jan - Mar 2025

part 2